

ب. حركة طليحة بن خويلد الأسدي:

من طليحة

كان طليحة كما يقول الجاحظ "خطيباً، وشاعراً، وشجاعاً وكاهنًا، ناسباً"⁽⁷⁾. وقد أهلته هذه الصفات لأن يكون ضمن وفد قبيلته أسد حينما قدموا إلى المدينة في سنة تسعة للهجرة لمقابلة الرسول ﷺ. وقد ذكر ابن سعد أن سلوك هذا الوفد في أثناء مقابلته للرسول ﷺ قد اتسم بالجفاء والتعالي. فقد قال حضرمي بن عامر للرسول ﷺ:

4

(1) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 318.

(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 230 - 236، البلاذري: فتوح البلدان، ص 114.

(3) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 318 - 319، 323 - 327.

(4) المصدر نفسه، ج 3، ص 319.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، ص 112.

(6) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 333.

(7) الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 359.

الباب الثاني / الفصل الأول: الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق

311

"أَتَيْنَاكَ نَتَذَرُكَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ، فِي سَنَةِ شَهَبَاءَ، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْثًا. فَتَزَلُ فِيهِمْ: ﴿يَعْمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ (١)... (٢)".

ويبدو من النص المتقدم أن طليحة قد أسلم مع بقية أفراد قومه الذين جاؤوا ضمن هذا الوفد، غير أنه لم تصلنا معلومات حول أوضاعه حتى تنبأ وادعى أنه ينزل عليه الوحي وذلك في بداية سنة 11 للهجرة بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع (٣). وقد ذكر الطبري أن طليحة حين تنبأ قام بإرسال ابن أخيه (حبال) إلى النبي ﷺ يدعوه إلى المودة ويخبره أنه قد نزل الوحي على عمه طليحة بوساطة ملك يدعى ذو النون (فرفض الرسول ﷺ المودة معه أو الاعتراف بمزاعمه ودعى عليه بالهلاك (٤)). وقد أشار الطبري إلى أن طليحة كان يزعم أنه ينزل عليه جبريل بالوحي، وقد

أورد عنه بعض الجمل المسجوعة ذات المضمون الضحل نحو قوله: "إن لك رجا كرحاه، وحديثا لا تنساه" (٥)، "والحمام واليمام، والصرد الصوام، قد ضمن قبلكم بأعوام، ليلغن ملكنا العراق والشام" (٦).

لقد عمل الرسول ﷺ على محاربة طليحة عن طريق إرسال الرسل إلى عماله على بني أسد يحذرهم منه ويدعوهم إلى مقاومته. ويبدو أنهم قد نجحوا في مسعاهم إلى حد كبير.

حتى إنهم "أشجوا طليحة وأخافوه" (٧)، غير أن وفاة الرسول ﷺ قد أتاحت المجال لطليحة أن يجتذب إلى صفه الكثير من أبناء قبيلته وحلفائهم من طيء وغطفان وغيرهم (٨). وكان للعصبية القبلية دورها الكبير في انحياز هؤلاء الناس إلى طليحة. وقد عبر عن هذا الدافع بصورة جلية عيينه بن حصن زعيم غطفان حين قرر الردة فقال لقومه: "والله لأن نتبع نبيا من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبيا من قريش، وقد مات

(١) سورة الحجرات، الآية 17، ونصها الكامل: ﴿يَعْمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَعْمُنُوا عَلَيَّ إِنْ سَأَلْتُمْ بِرَأْسِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَذِبٌ لِلَّذِينَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج 1، ص 292.

(٣) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 184 - 185.

(٤) المصدر نفسه، ج 3، ص 186.

(٥) المصدر نفسه، ج 3، ص 256.

(٦) المصدر نفسه، ج 3، ص 260.

(٧) المصدر نفسه، ج 3، ص 257.

(٨) المصدر نفسه، ج 3، ص 242.

محمد، وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه، ففعل وفعلوا⁽¹⁾.
وقد عبر أحد شعراء المرتدين عن مثل هذا الموقف الانفصالي عن الدولة الذي

تحركه العصية القبلية بقوله:
أطعنا رسول الله ما كان بيننا
أيورها بكرأ إذا مات بعده
والحقيقة أن النصوص التي بين أيدينا عن كثير من هؤلاء المرتدين تثبت أن
هؤلاء الناس لم يدخلوا الإسلام من قبل إلا بصورة ظاهرية، وإن الإيمان لم يتغلغل
إلى قلوبهم وقد قرر القرآن الكريم هذه المسألة بصورة واضحة حين قال: ﴿قَالَتْ

الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁽³⁾. وقد
ذكر الطبري أن عيينة بن حصن زعيم غطفان حين أسر وجيء به إلى المدينة في أثناء
حروب الردة، فكان غلمان المدينة ينخسونه بجريد النخيل ويقولون له: "أي عدو الله
أكفرت بعد إيمانك، فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط"⁽⁴⁾.

لقد أرسلت القبائل العربية التي ارتدت مع طليحة الأسدي وفوداً إلى المدينة بعد
عشرة أيام من وفاة الرسول ﷺ طالبة من أبي بكر الصديق أن يعفيها من أداء الزكاة
مقابل استمرارهم على أداء الصلاة. غير أن أبا بكر الصديق، رفض هذا الطلب بحزم،
وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه. وأجلهم يوماً وليلة لإعلان خضوعهم الكامل
للدولة كما كانوا يفعلون على عهد رسول الله ﷺ⁽⁵⁾.

ويبدو أن المرتدين كانوا يحاولون من خلال هذا العرض التملص بصورة
تدرجية من التزاماتهم تجاه الدولة والعودة إلى أوضاعهم السابقة على الإسلام فلما
رفض أبو بكر طلبهم بعد أن اكتشف حقيقة مقصدهم، عادوا إلى عشائريهم ليخبروهم
بقلة عدد المسلمين وليحرضوهم على مهاجمة المدينة⁽⁶⁾.

لقد شرع أبو بكر الصديق فور مغادرة وفود المرتدين على تشديد الحراسة على
المدينة والاستعداد للدفاع عنها ريثما يعود أسامة من مهمته، فوضع على مداخل
المدينة سرايا بقيادة بعض كبار الصحابة وهم علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة،

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 257.

(2) المصدر نفسه، ج 3، ص 246.

(3) سورة الحجرات، الآية 14.

(4) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 260.

(5) المصدر نفسه، ج 3، ص 244 - 258.

زعيم
غطفان
عينه
بن حصن

رفضوا
أداء
الزكاة

سبب
ارتداد
القبائل
العربية

ج/الادو
الاستعداد
دفع
الزكاة

الباب الثاني / الفصل الأول: الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق

313

وعبد الله بن مسعود^(١). كما دعا أهل المدينة للاجتماع في المسجد، وقال لهم: "إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرُونَ ألياً تؤتون أم نهراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد آيينا عليهم ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا"^(٢).

ويلاحظ أن المرتدين لم ينجحوا في استغلال فترة غياب جيش أسامة عن المدينة في تحقيق مكاسب حقيقية ضد المسلمين، وكان كل ما قاموا به غارة خفيفة على تخوم المدينة. قام أبو بكر بصدها ومطاردة المشتركين فيها^(٣). فلما عاد جند أسامة طلب منهم أبو بكر الصديق البقاء في المدينة ريثما يحصلون على بعض الراحة، ثم خرج بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الريزة يلتقي بني عبس وذبيان وجماعة من بني عبد مناة بن كنانة فلقبهم بالأبرق فقاتلهم، فهزمهم الله وفلهم، ثم رجع إلى المدينة^(٤).

لقد قام أبو بكر الصديق بعد عودة جيش أسامة إلى المدينة واجتماع القبائل العربية المسلمة حول قيادته، وكانت أغلبها من عرب الحجاز الذين تقع مواطنهم بين مكة والمدينة، بتنظيم الجيوش وإرسالها لقتال المرتدين في مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية. فعقد "أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً، وأمر أمير كل جند باستنفار من مر به من المسلمين من أهل القوة وتخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم"^(٥).

وقد جعل (أبو بكر الصديق) مهمة قتال طليحة الأسدي ومن لحق به من طيء وغطفان وغيرها من القبائل إلى خالد بن الوليد، وكانوا قد تجمعوا عند ماء من مياه بني أسد يدعى بزاحة، فسار إليهم، وقاتلهم قتلاً شديداً حتى تفرقت صفوفهم وفروا هاربين، وكان على رأس الهاربين طليحة الأسدي^(٦)، فلما رأت القبائل التي كانت تنتظر نتيجة الصراع لتحديد على ضوئه موقفها بعدما "أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع، أقبل أولئك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا"^(٧).

وقد أشير إلى أن (طليحة الأسدي) قد عاد للإسلام، بعد أن "بلغه أن أسداً وغطفان

خالد بن الوليد
بزاحة

قول المرتدين

بزاحة : هي غنم من مياه بني أسد حدثت عندها معركة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في عداي بكر الصديق والمرتدين بقيادة طليحة الأسدي، هلكوا وانتهت المعركة بفرار طليحة الأسدي ومن معه من المرتدين.

- (١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٥.
- (٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٥.
- (٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٥.
- (٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٨.
- (٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.
- (٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ - ٢٥٦.
- (٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥٦.